



سر «حكمة» الاتحاد الأوروبي أن يبقى متفائلاً بعودة التعقل إلى السياسة الإيرانية، لتدبي دوراً في إقناع النظام السوري بقبول عملية انتقالية. لكنّ واقع الحال هو عجز الأوروبيين الساسة عن رؤية مصير سورية وخرابها، وإصرار مَنْ وراء النظام على تعميم هذا الخراب... لا شيء إلا لدعم «صمود» من يحكم في دمشق، ولو اقتضى سقوط عشرات الآلاف من المدنيين قتلى، بعدها تخطّت النكبة مئتي ألف ضحية.

البيت الأبيض بات أصمّ منذ انتزاع الأستانة الكيماوية للنظام السوري، لكنه لـ«الإنصاف» ما زال يستعد لتدريب عشرات من عناصر المعارضة(!) لعلهم يقلبون مسار الصراع.

أما الاتحاد الأوروبي، فلعل سياسته في عهد فيديريكا موغيريني، ستبني قصوراً من أحلام «الواقعية» الإيرانية، قبل رحيل بشار الأسد.

باختصار، فلتتوهم أن مَنْ يرعى كل ارتكابات النظام في دمشق ويشجّعه على المزيد، سينقلب إلى داعية سلام ويعتذر من الشعب السوري... لا شيء إلا لرغبته هو في لعب دور «إيجابي» في المنطقة، ينسجم وروح التطبيع بين إيران والغرب، في مرحلة ما بعد صفقة الاتفاق النووي.

وسيعتذر من الشعب اليمني عن تسليح الحوثيين وتحريضهم على ابتلاع الدولة وخطف المؤسسات وخداع بقية القوى والأحزاب اليمنية التي شاركت في الحوار، فيما كان زعيم الحوثي، «المظلوم» في الإدعاء الإيراني، يضع السلاح تحت طاولة الحوار، بل في ظهر البلد والدولة.

وسيعتذر النظام الإيراني من الشعب اللبناني عن تدمير نسيجه وشلّ مؤسساته وخنق اقتصاده، والنفح في نار المذهبية، منذ

ربط البلد بدمشق وطهران وبغداد، ومصير صنعاء وحال باب المندب ومضيق هرمز!

هي مجرد أضغاث أحلام، ولا تُنسى أيضاً عنتريات النهج الإيراني في التعامل مع دول الخليج، وعنجهيته وأزدراؤه اللغة الدبلوماسية بين الدول، وإصراره على استفزاز الجيران، وتجاهل الروابط الخليجية والعربية بين المملكة العربية السعودية وبقية دول مجلس التعاون، وكل الدول العربية عموماً.

واضح بالتأكيد، أن طهران حاولت بكل ما هو ممكن الاستقواء بمشروع الاتفاق النووي مع الدول الست الكبرى، لاهثة وراء حلم رديته طويلاً لتكون «القوة الأكبر في المنطقة». لكن الأكيد في المقابل أن متغيرات سريعة في الإقليم دهمت المشروع الإيراني المتضخم الأوردة، وأول المتغيرات وأهمها عملية «عاصفة الحزم» التي قادتها السعودية لاستعادة شرعية الحكم اليمني من قبضة جماعة الحوثيين... وهذه لم يعد لغزاً استمرار قوتها لكونها إحدى قاطرات الأهداف الإيرانية، في بلد عربي متاخم للحدود السعودية.

قاطرة كلفت الخزينة الإيرانية المرهقة بالعقوبات الدولية والأميركية، الكثير للتمويل والتسليح والتدريب، لتصبح حتى بعد «عاصفة الحزم»، وفق الترواحات الإيرانية المكررة «القوة الأكثر تأثيراً» في تحديد مستقبل اليمن!

أما المتغير الثاني فهو على الجبهة السورية، وأنقلاب ميزان القوة، رغم كل ما قدّمه «الحرس الثوري» وسواء دفاعاً عن النظام في دمشق، أو ما بقي منه.

وما يحصل عملياً في سوريا، كما في اليمن، نذر تحولات ليست حتماً في مصلحة من اجتهد ليقاتل بدماء غيره، وعلى أرض ليست إيرانية.

أبدعت طهران في صنع وكلاء، لكن المحاصيل في موسم الحصاد، ليست بالطبع مجرد طموحات، وحسابات بالسياسة والأحلاف والتمويل.

سقط مهندس «الممانعة» في فخ وهم الانتصارات التي يرْفَج لها، وظنَّ أن المنطقة العربية التي كانت يائسة بعد تداعيات «الربيع» والثورات، ستهُلّ له، وتنتظره مرشدًا لمستقبلها.

لكن ما يثير الخوف هو الآتي وكلفته: مزيد من الدماء في سوريا، وتوّقعات بفصل لبناني في الصراع عليها، فيما الحوثيون يمدّدون محنّة اليمن، والجسم مع «داعش» ما زال بعيداً... على الأقل في الموصل، حيث بزغ ظلامه.

فبأي خرافة يأمل الأوروبي بدور إيراني للإنقاذ؟... يراه يقتل عربياً ويحلّم بتأنيله رجل إسعاف!

بعض الأمل قد يكون في صحوة المنطقة على حقيقة المصالح الدولية، ودواجهها. كل الوهم القاتل انتظار «حكمة» التراث لدى الغرب.

المصادر: